ندوة دولية بعنوان:

"سيرا على خطى كز افييه ريشي: تتبع مسار شبكة بحث انتقائية"

المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية بباريس

الاثنين 14 مارس 2022

تكريما لروح صديقنا وزميلنا الراحل الأستاذ كز افييه ريشي

إدريس الكراوي

رئيس الجامعة المفتوحة للداخلة

أعز ائي ديانا وجوليان ودافني و أفراد عائلة كز افييه،
أعز ائي الزملاء والأصدقاء،
أيها الحضور الكريم،

أود، بداية، أن أعبر لكم عن تأثري الشديد والخاص وأنا أشارك في هذا الحفل المنظم تكريما لروح صديقنا وزميلنا العزيز الراحل الأستاذ كزافييه ريشي. وأرغب في تقاسم معكم بضع كلمات اعتراف بحق هذا الرجل العظيم، الذي كرس حياته كلها لخدمة التكوين والبحث ببلاده وبعدة جامعات ومؤسسات في جميع أنحاء العالم.

وأنتهز هذه المناسبة لأعبر عن عميق شكري وخالص امتناني للزملاء والأصدقاء المشرفين على تنظيم هذا الحفل، وأخص بالذكر الأساتذة جون فرانسوا هوشيت، وفولين ديلتيل، وجوليان فيركويل، لدرايتهم وقدرتهم على المزاوجة بين عناصر الصداقة والاعتراف والتأمل الجماعي والتحليل بلا هوادة. جميعها تشكل عناصر لطالما دافع عنها صديقنا الراحل كزافييه.

تلك كانت بضع كلمات دفعتني للتحدث عن أوجه متعددة من شخصية الأستاذ كزافييه ريشي، كما عايشتها وأدركتها وشعرت بها طيلة 40 سنة من العمل المشترك والمطبوع، على الخصوص، بالصداقة الأخوية التي كانت تجمعني به.

أعز ائي الزملاء والأصدقاء،

يحتفظ كل واحد منا بذاكرة أستاذ أو باحث يعتبره قدوة طبعت حياته بصفة عامة، ومساره المهني والأكاديمي بصفة خاصة. بالنسبة لي، أعتبر الأستاذ كزافييه إحدى الشخصيات التي طبعت بصدق مسيرتي المهنية منذ أن اضطررت للعمل معه في أوائل الثمانينات من القرن الماضي. وعملنا معا، خلال تلك الفترة، لإرساء دعائم مقاولة بحثية، كما كان يحلو له تسميتها في عدة لقاءات دولية التي قمنا بتنظيمها معا بشكل مستمر كل سنتين منذ سنة 1985، حيث نظمت جميع الندوات بمدينة فاس إلى غاية سنة 1998، ثم نظمت الندوات الأخرى بمدينة الرباط في الفترة ما بين 1998 و2010. وابتداء من 2010، شرعنا في تنظيمها بمدينة الداخلة، القلب النابض للأقاليم الصحراوية المغربية.

وبالمناسبة، كنت قد شرعت، بمعية كزافييه وفيليب كليرك، في التحضير لاحتضان اللقاء الدولي السابع الذي ستحتضنه مدينة الداخلة في دجنبر 2022، إذا سمحت الظروف بذلك. واخترنا جميعا كموضوع له: "*تدبير الأزمات والتنبؤ بالمخاطر في عالم يلفه الغموض: سياسات وطنية وحكامة دولية*". و للأسف فإن كزافييه لن يكون حاضرا معنا، لكن سنخصص هذه النسخة تكريما لروحه.

انطلق المشروع المشترك، الذي بدأته أنا وكزافييه في مجال تعزيز البحث في الشبكات، من فكرة بسيطة، تقوم على تحديد كل سنتين موضوع يتطرق إلى إشكالية اقتصادية جديرة بالاهتمام والنقاش، وتتخذ أبعادا أفقية ومتعددة التخصصات بما فيه الكفاية. ونعمل، بواسطتها، على تعبئة الذكاء الجماعي للباحثين والفاعلين في المجال المؤسساتي، والمنحدرين من أوساط أكاديمية متنوعة والقادمين من جميع بقاع العالم. ويشكلون جزءا من الشبكة التي حرصنا على وضع نواتها معا بتعاون مع مجموعة متعددة من الزملاء والأصدقاء، حيث يتجاوز عدد أعضائها حاليا 150 باحثا من إفريقيا وأوروبا والأمريكيتين وآسيا وأوقيانوسيا.

وتمثلت السمة البارزة التي طبعت هذه اللقاءات في تتويجها على الدوام بإصدار جماعي ينجز في طبعة مشتركة تضم ناشرا مغربيا وفرنسيا، غالبا ما تكون دار نشر لآرماتان.

وصدر للتو الكتاب الأخير، الناتج عن أشغال اللقاء الأخير، خلال الأسبوع المنصرم، ويتضمن مقالة ختامية بقلم الأستاذ كزافيه، حررها مباشرة بعد الحجر

الصحي العام الذي حتمته جائحة كورونا. وتجسد، بلا شك، آخر تأملاته بشأن ما أسماه "العولمة الفاشلة". ويسعدني أن أهدي نسخة منه لأفراد عائلته الحاضرين معنا في هذا الحفل.

ولقد كان هذا المشروع المشترك بمثابة فرصة مكنتني، على المدى الطويل، من اكتشاف جوانب متعددة من شخصية كزافييه ريشي الانسان والصديق و الباحث.

1. كز افييه ريشي الانسان

جميع الأشخاص الذين عاشروا كزافييه واحتكوا به أعجبوا بالصفات الإنسانية المميزة للغاية التي يتصف بها.

في الواقع، يعتبر كزافييه شخصا متحفظا، تميز بروع الدعابة وكان مفعما بتفاؤل حذر. كان لا يحبذ النزاعات وكان حريص على الوفاء بتعهداته. كان يشبث بالحياة، ويتقبل الآراء بصدر رحب، وارتبط ارتباطا شديدا بأسرته. واجه مشاكل وآمال عصره، وكرس حياته لخدمة القضايا العادلة. ظل دائما رهن إشارة أصدقائه، ودافع بلا هوادة عن القيم الإنسانية والعالمية المتمثلة في التسامح وتشجيع الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان. كل هذه القيم والمبادئ جعلت من كزافييه شخصا مبدعا في نسج الروابط الإنسانية وبناء أواصر العمل والصداقة.

2. كز افييه ريشي الصديق

شخصيا أعتبر كزافييه صديقا حقيقيا ووفيا ومخلصا وكريما، يقدم المساعدة ويحترم الاختلاف في الرأي، ويعترف بالجهود، ويتفهم الحالات. وسعى دائما إلى مشاطرة كل ما يملكه مع الآخرين من خلال إشراكهم في شبكة تضم أصدقائه وزملائه، وحرص على صيانتها والتعريف بها.

لكل هذه الأسباب، كان كزافييه صديقا للجميع، وهو ما يثبته هذا الجمهور الحاشد من الأصدقاء والزملاء الذين حضروا لتعداد مناقبه، بعض منهم قدم من أماكن بعيدة أو يشارك معنا عبر العالم الافتراضي.

وعليه، فقد رسم كزافييه معالم العالم الذي أراد بناءه، وسخر دوما مهارته ومؤهلاته لتعبئة الذكاء الجماعي لهؤلاء الزملاء والأصدقاء للمساهمة في تجسيده على أرض الواقع.

كما قام بالاستثمار في المعارف والأبحاث التي كانت تقع في صلب مسعاه الدائم لبناء عالم أفضل.

3. كز افييه ريشي الباحث

كل من تعرف على كزافييه أو احتك به كباحث أكاديمي انبهر بصفاته باعتباره واحدا من الباحثين المرموقين الذين بصموا مسيرتهم بمجال تخصصهم.

في الواقع، انتسب الأستاذ كوافييه إلى هذا الجيل من الباحثين الذين قلما أنتجتهم جامعة القرن الحادي والعشرين، جيل يتصف أساسا بسعة الاطلاع، ومشهود له بكفاءات عالية، ويتوفر على قدرات هائلة على العمل، ومهارات كبيرة في الإنصات، وصدره رحب، ويرفض جليا جميع أشكال التزمت الفكري.

بيد أن الصفات التي كان يحملها الأستاذ كزافييه بصفته باحثا شملت، في حقيقة الأمر، الصرامة، والأمانة العلمية، والإيمان بصحة وفوائد تعددية التخصصات، والمقاربة النفعية، والالتزام الملقى على عاتقه كمثقف والمسؤولية التي يتحملها كباحث. جميعها صفات جعلته يقتنع اقتناعا راسخا بأن العلوم الاقتصادية يجب تسخيرها لخدمة الإنسانية.

أصدقائي وزملاء الأعزاء،

اسمحوا لي بأن أختم كلمتي، التي أعدد فيها مناقب هذا العالم الاقتصادي الفرنسي الكبير، بالإشادة والثناء على شخصية ساهمت في صنع هذا الرجل وطبعت مسيرته

المهنية المتميزة والرائعة. وأقصد هنا زوجته الفاضلة ديانا كوبر-ريشي التي أحبته وشاركته تفاصيل حياته وتفانت وضحت من أجله. كل هذه الصفات كانت وراء نجاح هذا الرجل العظيم، والصديق الوفي، والباحث المرموق.

لذلك فان هذا التكريم هو تكريم لها ولأبنائه وحفدته الذي كان لهم كزافي حبا لا منتهيا.

ارقد بسلام أيها الصديق والأخ العزيز كز افييه